قيامةُ الربِّ من القبرِ
واستعادة الوعي الأرثوذكسي بالخلاص

دكتور
جورج حبيب بباوي

أبريل ٢٠١٤

www.coptology.org

لم ندرس التاريخ الكنسي بشكلٍ دقيق يتجاوز السرد ونقل الروايات والقصص. وإن كنت سمعت في الآونة الأخيرة أن أمهات كتب تاريخ المسيحية في طريقها إلى أن تترجم إلى العربية: سوزمين – سقراط – ثيؤدوريت، وهم أعمدة التاريخ لأنهم مؤرخو التاريخ. وأتمنى نشر طبعة في متناول القارئ القبطي لكتاب تاريخ البطاركة بعد أن تمكن قراصنة شبكة المعلومات من وضعها على الشبكة. وتحقيق الكتاب من جديد؛ لأن الطبعة المحققة بها عوارٌ ظاهرٌ لكل من درس التاريخ.

لا تزال عبارة شيخ مؤرخي التاريخ المعاصر أرنولد توينبي ترن في أذني، وهي في شكلها المختصر: "الجهل بالتاريخ هو بداية سيادة الفكر الأصولي الذي يرفض التعددية". لأن اتباع السلف الصالح دون قراءة التاريخ، هي فعلاً بداية التشيع وخلق الفِرَق.

وكما غابت دراسة التاريخ العام، غابت أيضاً عن الساحة دراسة تاريخ الحياة الليتورجية المسيحية التي تُوصف بكلمة غريبة عن المسيحية، هي كلمة "العبادة"، بينما "الخدمة" أو "الليتورجية" هي أقرب الكلمات إلى نص وروح العهد الجديد نفسه. فقد كان الرسل يقيمون الليتورجية –حسب الأصل اليوناني– ولكن جاءت الترجمة العربية لتقول: "وبينما هم "يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس" (أع ١٣: ٢).

وكما غاب هذا وذاك، غاب أيضاً تاريخ عقائد المسيحية الذي يحمل لنا ما يمكن أن يُسمى بلغة العصر "خارطة تاريخ المسيحية"، فهذه الخارطة هي التي يمكنها أن ترسم لنا الفروق بين الشرق والغرب، وتكشف لنا بداية وأسباب الانفصال الحزين الذي بدأت بواكيره منذ القرن العاشر لتضع حداً للوحدة الكنسية بين روما – القسطنطينية،

وهما كانا أكبر تجمع مسيحي في العالم القديم. هذا الانفصال الذي سبقه الشرخ المؤلم في ٤٥١م عندما استقلت كنائس مصر – سوريا – أرمنيا، وحلَّ الانقسام المفزع حقاً، وباتت كنيسة الإسكندرية العريقة منقسمة بين الذين رفضوا المجمع الرابع ٤٥١م والذين قبلوه.

في ظل هذا الفراغ الهائل جداً والمخيف، بدأت ترجمات الآباء، وبدأت الدراسات الجيدة جداً. كان آخر ما وصلني هو كتاب "الافخارستيا سر الحياة" للدكتور مارك شنودة، وهو أعظم ما صدر بعد كتاب الأسرار السبعة، ودراسة الأب متى المسكين عن الافخارستيا. وأتمنى على دار بناريون بالاشتراك مع مركز دراسات الآباء، ترجمة الدراسات الأرثوذكسية المعاصرة؛ لأنها تجاوزت سقطة اللاهوت الأرثوذكسي في "سبي بابل"، وهو الاسم الذي عبَّر به المطران يوحنا زيوزلاس عن حالة الخلط بين تعليم العصر الوسيط والتعليم الشرقي الأرثوذكسي.

قيامة المخلِّص هي سبب اجتماع الكنيسة يوم قيامة الرب:

لا زلنا نحفظ الاسم القديم "يوم الأحد"، أي اليوم الأول "أحد" هو الأول، وهو أول يوم في الأسبوع الذي قام فيه الرب. وكان يُسمى يوم الرب (رؤ ١: ١٠). هكذا عُرف هذا اليوم في أقدم الوثائق المسيحية (تعليم الاثنى عشر – الديداكي ١٤: ١). وقد قاوم الشهيد أغناطيوس في رسالته إلى مغنسيا الذين يحفظون السبت، فهو اليوم الذي لا علاقة له بيوم القيامة، أي اليوم الذي أشرقت فيه حياة الخلود (فقرة ٩).

نحن نذهب لا لاجتماع، بل للشركة في حياة الرب، ولذلك كانت الكنيسة تجتمع للإفخارستيا منذ العصر الرسولي، فيسوع يأتي إلينا حياً. لم يكن مجيء يسوع بكلمة الوعظ فقط، بل بمجيء أقنوم الكلمة نفسه ليوزِّع حياته على أعضاء جسده.

الحياة بالكلمة وبالصلاة وبقراءة الأسفار فقط هي سقطة لاهوت حركة الإصلاح التي أبادت الشركة الكيانية في كيان الإله المتجسد.

المسيحُ رأسٌ حي لجسدٍ حي:

مواعيدُ الربِّ لنا ليست مواعيداً لشخصٍ ينام في كتب التاريخ، ولا حتى في الكتاب المقدس نفسه؛ لأن "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر" (متى ٢٨: ٢٠) قد تبدو هذه كلمات، ولكنها ليست مجرد كلمات، بل هي "الحضور المتجسد" حسب تعبير القديس أثناسيوس (راجع على سبيل المثال: تجسد الكلمة ف ٨، ضد الأريوسيين ١: ٥٩ — ٢: ٥٥ — ٢: ٨٦).

الحيُّ غلبَ الموتَ في كيانه الإنساني، وهو يغلب الموت في كيان كل من يتَّحد به. وجسد يسوع المسيح الجماعة، أي أعضاء جسده ليس أي جماعة، بل هي جماعة كوَّنها جسده من لحمه ومن عظامه (أفسس ٥: ٣). فالجسد يحمل إلينا حياة الابن، ولذلك حملنا الابنُ فيه إلى السماء وأجلسنا معه في السماويات. رأسٌ حيٌّ منه تصل الحياة لكل عضوٍ. صارت الإنسانية كلها فيه؛ لأن "كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع" (١كو ١٥: ٢٢). ولكننا تركنا الموت يعبث بالحياة، وسلَّطنا أكبر كم من الضوء على الخطية وحدها، فضاعت القيامة، بل ضاع الصليب؛ لأن الذي أُبيد على الصليب هو الموت حامل الخطية، كما تشهد عن ذلك صلاة الصلح القبطية، فالموت لا ينفصل عن الخطية "من تذكار الشر اللابس الموت — **ⲉⲧ ⲉⲣⲫⲟⲣⲓⲛ ⲙ̀ⲫⲙⲟⲩ**"، فالموت "تملَّك علينا، هذا الذي كنا مُمسَكين به، مبيعين من قبل خطايانا"، وقد مات الذي أمسك علينا كل خطايانا. وفي تشبيه بليغ يقول رسول الرب:

* المرأة المتزوجة (التي تحت رجل) هي مرتبطة بالشريعة (الناموس) طالما الرجل حيٌّ.

* إن مات الرجل، فقد تحررت من شريعة الرجل (لم تعد زوجته).

* إن مات الرجل فهي حرة من الشريعة حتى انها ليست زانية إن تزوجت رجل آخر.

كيف طبَّق الرسول هذا التشبيه القانوني جداً على المسيح والإنسانية:

* إذاً يا إخوة أنتم أيضاً قد متم للشريعة (الناموس) بجسد المسيح. مات الذي كنا ممسكين به، مبيعين من قبل خطايانا.

هذا هو تحرر الإنسانية من وساطة الشريعة (الناموس). مات الجسد الآدمي على الصليب.

* لكي تصيروا للآخر، في زواج جديد، وهو "للذي أُقيم من الأموات، ... لنثمر لله" (رو ٧: ١-٤).

* "الآن قد تحررنا من (وساطة الشريعة تماماً مثل المرأة التي مات زوجها). إذ مات الذي كنا ممسَكين فيه (مات المسيح ومعه ماتت الشريعة عن عمل الوساطة). والدليل على ذلك "حتى نخدم (نعبد) بجدة الروح لا بالعبودية (عتق الحرف)" (رو ٧: ٦).

موت المسيح يسوع هو موت الشريعة، ومع موت يسوع:

* مات الجسد الذي جاء من آدم وإبراهيم وداود ..... الخ.

* مات الانتساب العرقي لإسرائيل، ولذا ُدعي يسوع آدم الأخير، السابق على شريعة موسى وعلى دعوة ابراهيم وعلى تاريخ الأسباط.

* ماتت الحياة الجسدانية البيولوجية، أي الجسد الذي يتألم ويموت؛ لأنه قام بالروح القدس وتحوَّل إلى عدم فساد، وصار "الإنسان الجديد"، صار له "جسداً ممجداً" (فيلبي ٣: ٢١) أسهب الرسول في شرحه في (١كو ١٥: ٤٣-٥٠).

* غاب الأصل الترابي من الوجود، ولذلك نحن نُصلب ونموت ونقوم مع المسيح (رو ٦: ١-٨).

الأقنوم المتجسد هو الذي مات وقام:

تركنا كلمة أقنوم وأمسكنا بكلمة شخص، وهما معاً الأقنوم = الشخص، فالشخص أقرب كلمة إلى اليونانية والقبطية والسريانية. والشخص ليس هو الفرد. وحتى محيي الدين ابن عربي فطن إلى هذه الحقيقة، ولذلك له عبارة موجزة: "الفردُ يظل فرداً، ومتى أحب تأقنم، أي صار شخصاً". وعندما غابت كلمة أقنوم، وحلَّت كلمات أخرى تبدو بريئة، وهي في حد ذاتها بريئة جداً مثل: النعمة — القوة، إلَّا أن هذه الكلمات صارت في يد الشياطين، البرقع الذي يحجب المحبة الأقنومية، أي المحبة الشخصية، والقيامة الأقنومية والجسد المتأقنم بالاتحاد الأقنومي للابن له المجد. ولكن الليتورجية صوت الكنيسة الجامعة تُعلن لنا في صلاة الصلح:

– "أيها المسيح إلهنا القوة ϯϫⲟⲙ المخوفة

الغير المفهومة (تعلو على الفهم) التي لله الآب".

ولم تسكت الليتورجية عند هذه الكلمات، بل وأصلت:

– "الجالس فوق العرش الملتهب الشاروبيمي

والمخدوم من القوات النارية

من أجل تنازلك الغير الموصوف ....".

القوة، أي قوة الآب، هي اقنوم الابن.

مات الأقنوم بالجسد، و"ذاق الموت بالجسد"، كما نقول في صلوات الساعة التاسعة. هو هو الأقنوم الذي يقول –دون أن ينقسم إلى لاهوت وناسوت: "مَن يأكلني يحيا بي" (يوحنا ٦: ٥٧).

عند عطاء المحبة، لماذا يحجب الابن إلوهيته عن الخطاة، ويعطي لهم ناسوتاً بلا لاهوت؟ هل أدرك هؤلاء المنقادين إلى تعليم شيطاني، إن عطاء الجسد قال عنه الرب نفسه: "الجسد لا يفيد شيئاً" (يوحنا ٦: ٦٣)؟ والأقنوم هو الذي قال: "أنا هو الخبز الحي"، و"أنا هو خبز الله الواهب الحياة للعالم" (يوحنا ٦: ٣٣). إن هؤلاء الذين ينكرون الاتحاد الأقنومي، لا يعرفون المحبة الإلهية. هم يقدمون فقط ما تجود به خطاياهم، وما تقدمه الخطايا هو دائماً محدود، مقيَّدٌ بلذة الخاطئ، وهدف الخاطئ من تقديم عطية، فهو يعطي حسبما تسمح به اللذة، ومن أجل أن ينال شيئاً مقابل ما يعطيه.

وعندما قالوا إن اللاهوت لا يؤكل، فهو كلامُ حقٍّ يُراد به باطل. حقّاً لأن اللاهوت غير محسوس وغير منظور. يقول الشيخ الروحاني "**امسك يسوع باسمه، فهو لا يُمسك إلَّا بالاسم. وأيضاً وعندما يتحرك فيك روح يسوع، امسك الروح بالمحبة، فهو روحٌ لا يُمسك بالحواس**". فالأكلُ إذن، حتى بالنسبة للجسد نفسه، هو "**تناول**"، أي شركة، هو عطاء، وهو ما يعلو على كل الحواس: الأسنان واللسان. ولكن ما يعلو هو حقيقيٌّ أكثر مما هو محسوس. فالموت جعل المحسوس حقيقيٌّ أكثر من غير المحسوس؛ لأن الموت هدم البصيرة، فجعل ما تمسكه الحواس هو الصحيح؛ لأن هذا هو رد الفعل على الخوف من الموت، ومن ضياع ما تراه العين وتمسك به اليد.

لكن عدم أكل اللاهوت، وهو حقٌّ لا ينكره أحد، تحوَّل إلى سيفٍ يقسِّم المسيح الواحد إلى اثنين، وبالتالي صار الناسوت وحده يؤكل. لكن هذه الكذبة الكبرى قريبةٌ من وعيٍّ ينسى أو تعمد أن ينسى تجسد ابن الله. لأن التجسد جاء بما عجزت عنه الشريعة، وهو ردُّ الإنسان إلى الشركة في الحياة الإلهية.

لو كان المسيح إنساناً فقط، فماذا نكون قد أخذنا من الله؟ والجواب: لا شيء، فقد صار كواحدٍ من الأنبياء، جاء بتعليم أخلاقي ممتاز. لكن المسيح يقول لنا: "أنا هو القيامة"، والقيامة ليست خاصة بلاهوت الابن؛ لأن اللاهوت لا يحتاج إلى قيامة، فهو غير قابل للموت، وبالتالي هو لا يقوم، ولذلك "أنا هو القيامة

والحياة" هي أعظم ما ذكره الرب عن الاتحاد الأقنومي.

نحن لا نأخذ من الجسد أو من الناسوت شيئاً يمكنه أن يقرِّبنا من الله الآب، بل إن هذا الجسد يحتاج إلى من يقرِّبه من الحياة الإلهية نفسها. ماذا يستطيع الجسد أو الناسوت أن يعطي؟ لا شيء. وحتى في موته المحيي، لم يكن موتٌ للجسد المنفصل عن اللاهوت؛ لأن هذا موتُ إنسانٍ مثلنا لا يحقق الفداء ولا الغفران ولا يرد الحياة للإنسانية. فقد سبق ومات أنبياء مثل أشعياء وحزقيال وغيرهما، ولم تنل البشرية بموت هؤلاء شيئاً.

لكن اتحاد لاهوت الله الكلمة بالجسد، هو الذي جعل موته بالجسد سبب حياةٍ؛ لأنه:

أولاً: أباد الموت من الطبيعة الإنسانية التي أخذها من القديسة مريم.

وثانياً: أعطى الخلود لهذا الجسد؛ إذ لا يكفي أن يقوم الجسد، بل أن يقوم لعدم فساد، وهو عمل اللاهوت في حفظ الجسد من الفساد (أع ٢: ٢٧، ٣١).

إذا كان الأمر هكذا، فلماذا نأكل الجسد وحده؟ وما قيمة أكل جسد إنساني؟ لقد أجاب القديس كيرلس الكبير السكندري على هذا السؤال بالذات في حواره الطويل مع نسطور، وسقوط الأنبا شنودة الثالث في هرطقة نسطور لا يحتاج إلى إثبات، فهو يردد عبارات نسطور، وكأنه ينقل عنه عباراته حرفياً[1].

إن أكل الجسد وحده يعيدنا إلى الحياة البيولوجية القديمة التي تبلى بالموت.

---

(1) راجع البحث المنشور على موقع coptictruth.com حول نسطورية الأنبا شنودة الثالث، وحكم المجمع المسكوني الثالث ٣٤١م على الذين يمزقون المسيح الواحد واهب الحياة الأبدية.

الجسد المُمَجَّد الحي والمحيي

لا أدري لماذا غاب ما ذكرناه تواً من وعي الذين يتكلمون مثل نسطور، وأحياناً مثل أريوس، ومرات مثل أوطاخي؟ لن نذكر الأسماء، لعل الحياء يعيدهم إلى الأرثوذكسية! لكن تبقى نقطة هامة لا يمكن التنازل عنها: ما هي طبيعة جسد الرب في الإفخارستيا؟

حسب الليتورجيات الأرثوذكسية، هو:

- جسدُ الحياة.

- جسدٌ محيي.

- طعام الخلود.

وتقديم الرب لجسده في العلية قبل الآلام المجيدة هو الذي حجب رؤية الجسد المُمَجَّد عن أذهانٍ لم تقبل الاستنارة من روح يسوع، أي الروح القدس. لازال الفكر الإنجيلي العفِن ينشر عفونةً أرضيةً في العقول، هي –بالتحديد– تقسيم الرب حسب مراحل تاريخية تجعل من كل ما يحدث في حياة الرب تاريخاً وحدثاً منفصلاً عن الأحداث التاريخية الأخرى. فقد فَصَلَ الميلاد البتولي عن القيامة، في حين أن قيامة الرب هي التي أكملت ميلاده من العذراء؛ لأن الحبَل وتكوين الناسوت بالروح القدس هو ردُّ أصل وبداية الوجود الإنساني إلى الله؛ لأن الابن أعادنا روحاً وجسداً إلى الله عندما تجسَّد، وصار أصل الإنسانية الجديدة هو المتجسد آدم الثاني، وليس آدم الأول.

وفصلَ الصليب عن القيامة؛ لأن الصلب هو دفع الثمن وإرضاء الآب، وهو تجديفٌ عن جهل؛ لأن الابن المتجسد هو مالك وخالق الكل مع الآب (يو ١: ١ – ٣)، وهكذا لا يكون للقيامة من دور سوى أن تعلن أن المسيح حيٌّ، وتوقف الفكر عند ذلك، مع أن القيامة هي التي أعطت قوة الخلاص للصلب؛ لأن المصلوب ليس فقط

حيٌّ، بل هو الغالب الذي دمَّر الموت، ودمَّر الفساد، وأباد سلطان الجحيم، وبالتالي جاء الرب إلينا بالقوة وبالخلاص من أكبر مأساة للإنسانية، وهي مأساة الموت حامل الخطايا، فـ "الشر الملبَس الموت" ليسا مسألتين يمكن فصلهما عن بعضهما.

وتربَّع الحيُّ على عرش الحياة ملكاً ومخلصاً استرد البشرية من الموت، ومن الشيطان، وجعل الخطيةَ عاجزةً عن أن تُميت الإنسان: "اسمُكَ القدوس هو الذي نقوله فتحيا نفوسنا بروحك القدوس ولا يقوى علينا موت الخطية ولا على كل شعبك" (أوشية الاجتماعات).

ولكن لاهوت عصر الإصلاح كله: لوثر وكالفن، والباقين، فصلَ السرائر عن تدبير الخلاص. فقد تم فصل المعمودية عن الصلب والقيامة؛ لأن المسيح دفع الثمن وأرضى العدل الإلهي، وصارت المعمودية اعترافاً وشهادةً لا شركة في موت الرب، أي صلبه ودفنه وقيامته. كما تحولت الإفخارستيا إلى ذكرى عقلية لِما حدث في الماضي، فتحول الخلاص إلى حدث تاريخي قديم مرت عليه عدة سنوات، وأصبح كل ما لدينا هو أن نتذكر –عقلياً– ما حدث في هذه الذكرى.

وبالتالي لم يعد الرب سجيناً للتاريخ القديم فقط، بل انفصل الرأس، أي المسيح عن جسده، أي الكنيسة، ولم يعد للكنيسة أي كيان سرائري *Sacramental* فهي ليست جسد المسيح الحقيقي، بل طُمست فكرة "جسد يسوع السري"، وهي أصلاً تعني غير المعلَن والظاهر، ولا تعني بالمرة أنه جسد معنوي عبارة عن فكرة في العقول، بل جسد حقيقي؛ لأن الحقيقي في تدبير النعمة هو ما هو حيٌّ وغير قابل للفناء وغير مستعبدٍ للموت أو الفساد، ولا هو خاضعٌ للدينونة، بل هو ما نال مجد الحياة الآتية، وهي الحياة الحقيقية؛ لأن الحياة البيولوجية زائلة ومتحولة يدب فيها الفساد، فهي ليست حقيقية؛ لأن الحق الذي لا يموت قال: "أنا الحق"، أي يسوع، وهو الذي وهب أن يكون لنا وجود حقيقي.

أمَّا عرض تاريخ تطور الفكر اللاهوتي، لاسيما في الغرب منذ القرن الـ ١١ عن

العشاء الرباني، فهو فصلٌ مؤلم وحزين ساد فيه تطرف المدافعين والمهاجمين معاً. ولكن انفصال العشاء الرباني عن الصليب والقيامة بسبب الترتيب التاريخي الذي فرضه لاهوت عصر الإصلاح في القرن الـ ١٦ في حين أن العشاء الرباني سبق -تاريخياً- الموت والقيامة، ولكن تدبيرياً المسيح هو هو أمس وإلى اليوم وإلى الأبد. هو نفسه قبل العشاء وبعد العشاء، وقبل الصلب استعلن مجده على جبل التجلي (طابور)، وظهر مجده الذي حُجِبَ عنا بسبب الإخلاء في تجسده (فيلبي ٢: ٦)، وهو الذي سار على الماء، وأسكت العاصفة، وغلب الموت في الآخرين، هو يقول قبل موته على الصليب وعند قبر لعازر: "أنا هو القيامة والحياة" (يو ١٠: ٢٥)، فهو القيامة قبل أن يموت، ولذلك كان موته هو الألم الروحي الحقيقي، إذ سار النور في وادي الموت المظلم، وهو تعبير عن فظاعة الموت والشعور الحقيقي بالغربة.

لا تزال الكنيسة الشقيقة – اليونانية، أو كنيسة الروم ترتل في يوم الجمعة أنشودة عظيمة: "أعطني هذا الغريب" عن يسوع الذي لم يكن له أحد يدفنه، وقد رأى يسوع غربته في المرضى والسجناء وكل الذين كسرهم الزمان والمجتمع، وقال لنا إن ما نفعله مع هؤلاء إنما نفعله له هو شخصياً؛ لأن التجسد أدخل كل إنسان في قلب الحياة الإلهية (راجع متى ٢٥: ٤١ – ٤٥).

أُكرر دائماً إن أكبر أخطاء لاهوت حركة الإصلاح هو فرض الترتيب التاريخي على ترتيب التدبير. لقد ضاع منَّا أن يسوع نفسه هو الطقس، أي الترتيب، وهو الطقس لأن كل ما في هذا الطقس الإلهي المتجسد هو ترتيب المحبة التي لا تعرف فواصل وحجج الفلسفة وبراهين التاريخ.

قبل الفصح أراد يسوع أن يكون هو الفصح؛ لأنه هو ذاته العبور إلى الحياة، ولذلك عبر بنا من فصحٍ قديم له جذور تاريخية إلى فصح جديد له جذر إلهي هو الحياة الغالبة. كانت المناسبة ضرورية، بل صنع الفصح، أي قدَّم حياته حملاً مذبوحاً بالإرادة، ولكننا لا نزال مثل اليهود نرى أن الحرف هو الحقيقة الواحدة الوحيدة، في حين أن الذبح

ليس بالسكين، بل بالإرادة قبل أن يكون بالسكين (عب ١٠: ١٠)، وهكذا الزنى ليس هو الاتصال الجسداني وحده، بل هو زنى القلب، وهو زنى الإرادة، ومن الأقوال الخالدة للأب متى المسكين: "عندما قال يسوع إن كل من نظر إلى امرأة واشتهاها فقد زنا بها في قلبه، حكم على كل جنس الرجال بعدم البراءة". ولعل ما يزيد الأمر إيضاحاً قصة موسى الأسود العظيم الذي حمل كيساً مملوءاً بالرمال وثقبه والرمال تنزل منه وجاء إلى اجتماع الأخوة للحكم على أخٍ سقط في الزنى وقال إن خطاياه تتبعه ورفض الاشتراك في مجمع القضاء ...

لعلنا نقترب من قوة وفعل الإرادة السابق على خلق العالم (أف ١: ١ – ٣)، وهو تدبير "ملء الأزمنة"، فليس لدى الرب زمانٌ واحدٌ يعمل فيه، وهو ذات الزمان الذي يضع قيداً عليه لا يسمح له بالحركة، فهو جاء لكي يكون منا بالجسد؛ لأنه كان معنا حسب إلوهيته قبل تجسده، وصار معنا متجسداً في الحضور المتجسد حسب تعبير العظيم أثناسيوس (تجسد الكلمة ف ٢٨).

كيف صارت الإفخارستيا ذكرى عقلية في عقول العابدين؟

أولاً: لأن الفداء كله تم يوم الجمعة، وهي إحدى نظريات العصر الوسيط، وقد مرت بمراحل تطورها منذ أنسلم حتى لوثر، ووصلت إلينا في مصر في عظات سبرجن وإبراهيم سعيد، ثم الأنبا شنودة الثالث. بينما، رغم الأهمية القصوى ليوم الجمعة، إلَّا أن الانتصار على الموت أُعلِن على الصليب وبالقيامة، ولكن لأن الصليب والمصلوب صارا ثمناً وترضيةً للآب، لم يعد لعشاء الرب أي مكان في تدبير الخلاص. بينما حسب المنطق نفسه، سبق العشاء الموت والقيامة، فهو لن يكون ذكرى بالمرة؛ لأن الذكرى هي خاصة بما يحدث في الحاضر أو بما يحدث في الماضي. هكذا صار خروف الفصح عند بني إسرائيل –ذكرى العبور– عبور ملاك الموت، ولم يكن فداءً من الخطية، بل من الموت من الملاك المهلك. وصار الحمل أو الخروف ذكرى للماضي. لكن الرب يقول إن "هذا لذكري أنا"، وهو أي الرب ليس حدثاً، بل شخصاً، ولذلك السبب عندما تحول يسوع

إلى فكرة، ضاعت إلوهيته، وضاع موته، وضاعت قيامته؛ لأن كل ذلك أصبح مجرد أفكار في عقول الناس تكتسب القوة من الفكر والذاكرة ... لكن الواقع عكس ذلك، يسوعُ حيٌّ سواء تذكَّره الناس أم لا.

ثانياً: عندما سُجِنَ يسوع في سجن الماضي والتاريخ، تحولت أعمال يسوع إلى أعمالٍ تاريخية تبدأ وتنتهي في الزمان، ولكن أعمال يسوع هي أعمالُ استعلانٍ للتجديد – للغفران – للشفاء – لإعلان الآب، فهو ليس شخصاً تاريخياً مثل أشخاص البشر السجناء في أبعاد الزمان الماضي والحاضر والمستقبل، بل هو "الكائن الذي كان والذي سيأتي"، وكل أعمال يسوع لها استعلان يفوق أبعاد الزمان، والعمل الذي فتح كل أيام الإنسان على الحياة الجديدة هو القيامة. فقد قام يسوع وصار يملأ كل مكان وزمان بحضوره الشخصي، أي الأقنومي، وصار يجلس في وليمة الحياة معنا معطياً جسده ودمه لنا.

أعود إلى سقطة لاهوت الإصلاح، لاهوت الإصلاح كله، ذلك الذي أبرز الفداء بالصليب، وأزاح التجسد، وهو اتحاد اللاهوت بالناسوت، أي الحدث الدائم الأبدي، إلى زاويةٍ مجهولةٍ؛ لأن في هذا الاتحاد الأقنومي تمت مصالحة الله والإنسان، وأُعلِن تمام هذه المصالحة على الصليب بإبادة الموت وبالقيامة والخلود. لكن الأساس هو ما سبق وحدث في بيت لحم، فهو الأساس الأبدي؛ لأن مسرة الله "وبالناس المسرة" جاءت بتجسد الابن "في ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة تحت الناموس (الشريعة) ليفتدي الذين هم تحت الشريعة"، ولم يقف الرسول عند ذلك، بل أضاف "وبما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً أبَّا أيها الآب" (غلا ٤: ٤ – ٦).

هذه مسيرة لا يفقد فيها الشخص، أو الأقنوم ما بدأ به من تجسد ومعمودية، ولكن ضاعت المعمودية التي صار فيها يسوع هو المسيح؛ لأنه مُسِحَ بالروح القدس ودُعي المسيح "كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة" (أع ١٠: ٣٨)؛ لأنها أصبحت

فقط مجرد اعتراف بالإيمان وشهادة على ذلك.

وفي العلية تم فصح كل الدهور الذي له استمرارٌ دائم؛ لأن الفصح هو حياة يسوع الغالبة الموت التي تعبر إلينا بواسطة الاتحاد الأقنومي من بيت لحم حيث البداءة أو أصل الوجود الجديد إلى هبة الروح القدس في الأردن، ثم تدخل عرين الموت وتبيده وتعطي الخلود للجسد.

الخبز الحي

هو الطعام الباقي للحياة الأبدية (يو ٦: ٢٧). كيف يبقى طعاماً ولا يبيد *imperishable* مثل المياة تنبع إلى حياة أبدية (يو ٤: ١٤)؟ هو طعام لا يفنى، هو "خبز الحياة" (يو ٦: ٣٥). ويسوع يقول: "أنا هو خبز الحياة"، هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان، فكيف غاب من الوعي أنه نزل لكي يأكل منه الإنسان، إن هذا هو سبب نزول الرب لكي لا يموت الإنسان. "أنا هو الخبز الحي"، و"الحي" هو أحد أسماء اللاهوت: "عطشت نفسي إلى الله الحي" (مز ٤٢: ٢، ٨٤: ٢)، ويسوع الحي ليس له مكان بين الموتى، هكذا يبشر الملائكة بالقيامة للنسوة (لو ٢٤: ٥)، وروح الله "روح الله الحي" (٢ كور ٣: ٣). وينقل إلينا يسوع الحي الذي غلبت حياته الموت، ينقل إلينا هذه الحياة لكي نصير نحن الذين متنا في آدم "هيكل الله الحي" (٢ كور ٦: ١٦)، والكنيسة جسد المسيح هي كنيسة الله الحي (١ تيمو ٣: ١٥)، فقد انتشرت فيها حياة "الحي"، وقديس الكنيسة هم في مدينة "الله الحي" (عب ١٢: ١٢).

ومن الرب والرسل جاء تعبير "غير المائتة السمائية" صدى إلهي ليوحنا ص ٦، وكل من يأكل لا يموت لأن ما حدث في العلية هو هبة يسوع "الخبز الذي أنا أعطي هو جسدي"، وهذا سهلٌ، ولكن الجمال، أي جمال الحياة هو ذات الفعل الذي يعود على الجسد والخبز؛ لأن المتكلم واحد "والخبز الذي أنا أعطي". قوة هذه "الأنا" هي في "أبذله

من أجل حياة العالم". وسوف يردد الرب ذات المعنى بكلمات أخرى "جسدي الذي أنا أعطي لكم" (لو ٢٢: ١٩)؛ لأن البذل والعطاء الحر هو الخبز = الجسد= هو أنا، لا انفصال ولا ثنائية.

خبز القيامة من الأموات

يقول الرب: "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان"، مؤكداً تجسده، و"تشربوا دمه" معلناً صلبه، "فليس لكم حياة فيكم" (يو ٦: ٥٣). وباقي العبارات إذا رُدَّت إلى أصلها الأرامي، بل واليوناني نجد أنها تعني "من يتغذى"؛ لأن الفعل اليوناني ***trogein*** خاص بالتغذية لا مجرد الأكل، وبالتالي: "من يتغذى بجسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (يو ٦: ٥٤). إذن فهو خبز القيامة، وهو يسوع، وهو الإفخارستيا، وهنا يعجز أسرى التاريخ ونظريات الفداء عن شرح عبارات الرب "جسدي مأكلٌ حق"، وكلمة "حق" هنا تعني ***the only real*** أي حق في مقابل:

- ما هو زائل وعابر

- مائت وفاسد لأنه خاضع لشرائع الخلق الأول.

- متغير ومستعبد لأنه ينتمي إلى ما حدث بعد السقوط.

أمَّا خبز القيامة الذي نأخذه في عشاء الرب، فهو مرةً ثانية، وحسب تأكيد الرب نفسه "من يأكل جسدي ويشرب دمي يكون فيَّ"، والقوة الأقنومية "وأنا أكون فيه"، وحسب الأصل اليوناني والقبطي "يكون" لا مجرد "يثبت"، فهو يتكلم عن "الكينونة"، لا مجرد الثبوت (يو ٦: ٥٦). ومن ثم يأتي تصريح الرب نفسه:

- "أرسلني الآب الحي

أنا حيٌّ بالآب".

هو لا يتكلم عن حياتين، بل هي حياة واحدة للثالوث القدوس، ولذلك يقول الابن له المجد:

- "الآب حيٌّ

أنا حيٌّ بالآب

من يأكلني (أنا)

فهو يحيا بي".

هذه الحقيقة الأبدية تُعلَن حسب التدبير هكذا:

- "هذا هو الخبز الذي نزل من السماء"

- "هذا الذي من أجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل من السماء".

- "مَن يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد (مثل الله الحي إلى الأبد)" (يو ٦: ٥٧ - ٥٨).

لقد توقف لاهوت عصر الإصلاح عن النمو بسبب نظرية الكفارة؛ لأن الدم الذي قُدِّم ترضيةً للآب لا يمكنه أن يفسر عبارة الرسول في عب ١٣: ٢٠ "إله السلام الذي أقام من الأموات راعي الخراف العظيم ربنا يسوع **بدم العهد الأبدي**". هنا توقفت الأقلام وجفَّ العقل؛ لأن دم العهد الأبدي هذا لم يكن ترضيةً، بل كان دم المصالحة والحياة والغفران ورد الإنسان. "دم العهد الأبدي" يعود إلى القيامة، فقد قام راعي الخراف بدم = حياة = العهد الأبدي. هنا أعطت القيامة تلك القوة غالبة الموت التي تأتي إلى الوعي الغارق في ضباب الفكر وأسر الزمان لكي يُشرق العهد الأبدي بالحياة الأبدية.

بدون القيامة لا إفخارستيا

يجب أن نعود إلى القيامة في كل خدمة كنسية؛ لأن الذي يخدم هو الابن رئيس الكهنة، وهو يخدم بتقديم حياته لنا. كلمات الرب واضحة عن البذل وعن الخبز هبة الحياة الأبدية، وهذا ما يجعلنا ندرك أنه عَبَرَ من باب الموت ومن باب الزمان، ومن كل الأبواب التي تفصل ما هو حقيقي وسمائي، عما هو عابرٌ وزائل. الموت أدخل التغيير، ولكن القيامة جاءت بثبات الحياة. والزمان كان يُحسَب بالأبعاد الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبَل، ولكن الحي "الكائن والذي سيكون" هو في الماضي أزليٌّ، وفي الحاضر راسُ الكنيسة، وفي المستقبل سيجمع أعضاء جسده، فهو لا ينتقل من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل، بل هو رب الأيام والزمان يدخل إلينا عبر الأبواب التي تمزقنا: الاهتمامات اليومية — العداء والبغضة — الجهل — المنطق الزماني الذي يحسب بالأرقام وبالساعات والمسافات لكي يحدد، لا حساب الملكوت حيث النمو بواسطة الماء الذي ينبع بقوة الحياة الأبدية، أو الخبز الحي، وهو الشخص أو الأقنوم الحي الناهض من تحت أركان العالم، أي كل القوى والموازين والحسابات والنظريات التي تضبط الحياة القديمة (كولو ٢: ٨، ٢٠). لذلك نحن ندخل الحياة الناهضة في خدمة الليتورجية وأساسها الاتحاد الأقنومي؛ لأن اتحاد اللاهوت بالناسوت أبعد المسافة والزمان عن علاقة الشركة.

ونحن نأخذ جوهرةً صغيرةً —بشكلٍ منظور– تُقطع وتُفصَل، وبشكل حقيقي لا تُفصَل، وما صلاة القسمة إلَّا توزيع "النصيب"، ولكن النصيب "واحد"؛ لأن يسوع واحد، ولأن التقسيم جاء مع الموت، لكن التوزيع جاء بالشركة.

عندما نقف عند المذبح المقدس، فإننا نشترك في ذات الرب الذي أعطى ذات الحياة لبولس وبطرس وأنطونيوس ومكاريوس؛ لأن الكل أعضاء في جسد واحد. أذكر مرةً عندما كنت أرتل لحن ⲡⲓⲛⲓϣϯ ⲁⲃⲃⲁ ⲁⲛⲧⲱⲛⲓ وأثناء ترتيل الشعب للحن "بركتهم المقدسة"، أن نظر لي القمص مينا المتوحد وقال بصوتٍ لا أكاد أسمعه: "أنت عارف أنك مُتَّحد مع كل دول في الذبيحة الواحدة؟" وسرت رعدة في كياني، فقد أدركت أن ما

نقوله هو استعلان الواقع لأن يسوع الحي يجمع أعضاء جسده ويعطينا ذات الحياة.

في الإفخارستيا نحن شركاء القوات السمائية، وكل قديسي الكنيسة الجامعة.

إن الأبواب المغلقة التي دخل منها يسوع (يو ٢٠: ١٩)، لا يمكنها أن تمنع يسوع الحي من أن يدخل حياتنا، حيث أغلقنا عليه أبواب الأبحاث اللغوية والتاريخية، وأغلقنا عليه منطق الحياة الساقطة تحت قبضة الموت، وهو منطق الحساب بالأرقام والمسافة والزمن والترتيب التاريخي الذي لا يعرف ترتيب الإيمان.

لقد وحَّد يسوع ميلاده، الابن الوحيد من الآب فصار الابن الوحيد من العذراء، وفي هذه الوحدانية أو الوحدة التي تمت في شخصه لم يعد للزمان مكان في الأقنوم المتجسد حيث يخضع له أو يتصرف حسب المواسم والأعياد، بل زمان الربِّ هو كل زمان؛ لأن الزمان توقف عن أن يكون العامل المساعد الذي يقربنا إلى الله في مواسم السبت والشهور وطلوع القمر (كولو ٢: ١٦).

لقد أُظهرت الحياة الجديدة بالقيامة. حياةٌ لا حدود لها؛ لأن الموت هو حدود الحياة القديمة.

المجد لك أيها الغالب، ورئيس الحياة، وواهبها.